صور من التخطيط الاستراتيجي في القرآن

د.مسعود جوهر

Öz

Kur'an'da Stratejik Planlama Örnekleri Üzerine

"Kendi planın olmaz ise sen başkalarının planlarının bir parçasısın." Bu söz geleceğin planlanmasının ne kadar önemli olduğunu gösterir. İslam ve Kuran'ın verdiği eğitim, beşerin hayal edebileceğinin ötesinde bir niteliğe sahiptir. Bu çerçevede "Kuran'da bir planlama ve strateji güdülmüş müdür; bir amaçlılıktan söz edilebilir mi?" Sorusu ilk bakışta "evet tabii ki güdülmüştür" yanıtını alsa da, bunun gerekçelerinin ve nasıl yapıldığının gösterilmesi gerekir. Buna gore Kureyşten resul seçilmesi, tesadüfen değil hesaplanarak olmuştur. Kur'anı Kerim geçmiş cahiliyyenin bozduğu şeyleri ıslah için gelmiştir. Bu nedenle örneği olmayan bir yol takip etmiştir. Islah ve davet için başını kaldırıp bakan herkes onu anlar ve amel eder denilmez; bu yol binanın yıkılmasından önce ıslah etmeyi hedefler. Kuranda bir planlama ve strateji güdülmüştür.Yaratan plan yaparsa hatta *"tuzak kurarsa"*, acaba bizim planlama yapmaya ihtiyacımız yok mudur?

Anahtar Kavramlar: Kur'an, planlama, İslam, Strateji, Cahiliyye, Islah

Abstract

On The Examples of Strategic Planning In Quran

If you don't have your own plan, then you are a part of other people's plans. This saying clearly shows how important it is to make plans for our future. Islam and Quran give a discipline beyond human beings' perception. Questions such as "Are there planning and strategy in Quran?" And "Can we talk about purposefulness theory?" Might be directly answered with a "Yes" but I do believe that this should be detailed and its motives and the methodology should be shown. To have prophet from the Kureish tribe was a calculated move. It wasn't a coincidence. Quran was sent down to reform what "The State of Ignorance" deteriorated and how to correct their untrue things. That's why it is following a unique path. It cannot be said that whoever seeks amends and advertising will see it and accept it. This path is of those whose ameliorated a building right before it was demolished. For this reason, Quran does this in a graceful way, by dealing with every individual and society step by step. There is planning and strategy in Quran. If the Creator makes plans, moreover, as read in Quran, "sets up", don't you think we, people, need making plans? It is high time we reread Quran in order to amend our lives and to take lessons for our salvations in the hereafter.

Key Words: Quran, Planning, Islam, Strategy, Ignorance, Amend

الحمد لله ، نحمده سبحانه ونشكره ، ونستعين به ونستغفره ، ونستهديه ونسترضيه ونؤمن به ونتوكل عليه ، ونصلي ونسلم على خير خلقه وخاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ؛

فإن الناظر في أحوال المسلمين في عصرنا هذا ليجد ما يغمه ويهمه ،مهما كان متفائلا أو مسرفا في التفاؤل ،ولعلنا لا نجاوز الحد إن قلنا :إن أي مخلص يتفحص أحوال أمتنا في كل المجالات لا يلومه منصف إن مات غما، ولعل من أهم الأسباب التي أودت بنا عدم وجود مؤسسات للتخطيط الاستراتيجي في كثير من بلادنا ، وإن وجدت فهي إما شكلية تجمع بين جدرانها مجموعة من المرتزقة أوتكتظ بالموظفين الذين ينتظرون التعليمات من الحكومات ليلهثوا وراء تحقيقها وتنفيذها دونما تفحص أو تدقيق أو إبداء للرأي الصادق المخلص في خدمة وطنه ودينه ، ولما كانت التعليمات والتوجيهات تختلف باختلاف الحكومات المتغيرة بسرعة فائقة وربما بطريقة كارثية أحيانا – كانت هذه المؤسسات – حال وجودها – كأن لم تكن .

ولأن حاجتنا لمثل هذه المؤسسات حاجة ماسة وملحة ، ولأن هذا الموضوع بات مسألة حياة أو موت لأوطاننا وأمتنا رأينا أن نطرقه بالبحث والتدقيق ؛ لنحقق الغاية المنشودة بعون

الله ، وقد شغل هذا الموضوع حيزا كبيرا من تفكيري منذ سنوات ؛ فحاولت العثور على مؤلف في عالمنا الإسلامي فرجعت بخفي حنين ، فاجتهدت في استقراء الأحداث للوصول إلى ما ورائها ،وتعقبت آيات القرآن الكريم وحاولت غور أسبارها ،لعلي أظفر بطلبتي ، وأصل إلى غايتي ، فإذا قصرت دون مطلوبي فلعلي أدق أجراس الخطر ؛ فيشمر لذلك من هو أشد مني غيرة على دينه و حرصا على وطنه ؛ ولذا فقد قررت أن أنزل أرضا بكرا ، وأخوض مسلكا وعرا ، فأحدد الموضوعات ، وأضع الإشارات ، فاخترت عنوان هذا البحث ليكون (صور من التخطيط الاستراتيجي في الإسلام) فكان من أهم خطوطه العريضة :

نزول القرآن منجما:

يرى ابن عباس أن القرآن نزل في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسول الله بعضه في أثر بعض (الإتقان ١/ ٧١١) وهذا الرأي هو الأشهر بين العلماء والذي اختاره السيوطي ،ورجحه ابن حجر في شرح صحيح البخاري ، وقد اختلفوا في مدة تنجيم القرآن على الرسول فقيل نزل منجما في : عشرين سنة ، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين على حسب الخلاف في مدة إقامته بمكة بعد البعثة (الإتقان ١ / ٨١١ ، ٩١١). القول الثاني أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة وهذا القول جعله الإمام فخر الدين الرازي بحثا فقال يحتمل أنه كان ينزل في كل ليلة قدر ما يحتاج الناس إلى إنزاله إلى مثلها من اللوح إلى السماء الدنيا ثم توقف هل هذا أولى أو الأول ويرى ابن كثيرأن هذا الذي جعله الرازي احتمالا نقله القرطبي عن مقاتل بن حيان وحكى الإجماع على أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ،وهذا الرأي نقله السيوطي عن الحليمي والماوردي وعلق بأنه يوافقه قول ابن شهاب آخر القرآن عهدا بالعرش آية الدين (الإتقان ١/ ٩١١) . القول الثالث أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات وهذا قول الشعبي(الإتقان ١/ ٩١١)

وينكر ابن تيمية القول بنزول القرآن من اللوح المحفوظ ، ويرى أن من قال ذلك فقد افترى على الله وكذب بالقرآن ، ويرى أن القرآن أنزل من الله مباشرة من الله تعالى تلاوة ولذلك كان تنجيمه ليسهل حفظه، وأن الله قد فرق بين ما نزل منه ومانزل من غيره كالمطر بأن قال:(أنزل من السماء ماء) (كتب ورسائل ابن تيمية في التفسير ٢١/٠٢٥)

ونحن لا نريد أن ندخل في مناقشات فلسفية لا طائل من ورائها ، وإنما أوردنا ما أوردناه لنخلص من ذلك بأن المشهور والراجح عند العلماء أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا ، وأنه نجمه بعد ذلك على رسوله ، فهل كان ذلك مصادفة ؟ وهل هناك حكمة أو سبب لنزوله على هذه الشاكلة ؟ هذا ما سوف نحاول الإجابة عنه من خلال الأسطر التالية .

لقد وجد الكفار طلبتهم في محاولاتهم المستمرة لإثارة الشبهات حول القرآن لا بل حول محمد ورسالته كلها ؛ فكانت أسئلتهم التي تعسفوها :

إذا كان محمد مرسلا من ربه كما أرسل موسى وعيسى فلماذا لم ينزل عليه القرآن جملة واحدة كما نزلت الكتب السابقة ؟

إذا كان محمد مرسلا من ربه يحبه الله –كما يدعي – فلماذا لم ينزل عليه القرآن جملة واحدة وإنما يعذبه فينزل الآية بعد الآية ، ويعاوده الملك المرة بعد المرة ؟(تفسير أبي السعود ٦ / ٦١٢ ، تفسير البغوي ٣ / ٨٦٣ ، فتح القدير ٤ / ٣٧)

وقد رد القرآن الكريم على دعواهم وبين بطلانها ، وأوضح أن القرآن حين نزله الله على رسوله منجما لم يكن خبط عشواء ، وإنما كان لحكمة سامية وتقدير رباني لا يسمو إليه فكرهم ، فقد يدرك بعض المؤمنين هذه الحكمة ، وقد تبقى في علم الله إلى أن يعلن الله عن مراده ، كل ذلك وفق تخطيط العليم القدير الذي لا يعجزه أن يأمر قلب محمد فيتسع لما شاء من وحيه ، فلو أراد إنزاله جملة فما ذلك عليه بعزيز ، ولكن حكمة الله تتجلى في نزوله مفرقا على هذه الصورة التي نزل عليها . (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا * ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)(سورة الفرقان :٢٣ ، ٣٣)

إذن فقد كان تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتكريمه بإنزال الوحي عليه مراراً وتكراراً من الحكم والأسباب التي غابت عن الكفار قال تعالى:(كذلك لنثبِّت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) ، أي أنزلناه مفرقا بهذه الصورة لنثبت به فؤادك ، (ورتلناه ترتيلا) قال ابن عباس : رسلناه ترسيلا يقول شيئا بعد شيء. (فتح القدير ٤ / ٥٧. صحيح البخاري (الجزء الخاص في التفسير)٤ / ٤٢٩١) وإننا لنجد في القرآن الكريم الكثيرمن الآيات التي تثبت قلب الرسول على غرار الآية السابقة ومن ذلك: (سورة هود:٩٤) ففي هذه الآية يخبر الله تعالى رسوله أن ما يقصه عليه من قصص الرسل ما كان يعلمها هو ولا قومه ، ويطلب إلى رسوله أن يصبر كما صبر من قبله من الرسل فإن الفوز في الدنيا والفلاح في الآخرة هو من نصيب المتقين المؤمنين أمثالك ومن معك (ابن كثير ٠٥٤١٢ ، القرطبي ٩٤١٩) ومن ذلك: (سورة طه : ٣١) وفيها يطلب الله إلى رسوله أن يصبر على ما يجد من أذى في سبيله ، وأن يستعين في صبره بالصلاة والذكر في الأوقات المذكورة لتكون زادا له في طريق دعوته وتحنو عليه الآية في رفق فتبين له الهدف من ذلك لعل الله يعطيك ما ترضى به (القرطبي ٣٦٢١١١ ابن كثير ١٧١١٣) ومن ذلك: (الروم : ٠٦) و(غافر٥٥) وهنا يخاطب الله رسوله قائلا :(فاصبر) أي يا محمد (إن وعد الله حق) أي وعدناك أنا سنعلي كلمتك ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك والله لا يخلف الميعاد وهذا الذي أخبرناك به حق لا مرية فيه ولا شك وقوله تبارك وتعالى (واستغفر لذنبك) هذا تهييج للأمة على الاستغفار (وسبح بحمد ربك بالعشي) أي في أواخر النهار وأوائل الليل (والإبكار) وهي أوائل النهار وأواخر الليل (ابن كثير ٥٨١٤القرطبي ٤٢٣١٥١) .

ومن شواهد ذلك أيضا قوله تعالى : (فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد ٧٤١) . وهنا يخفف الله تعالى عن رسوله ما يلقاه بأسه عن القوم المجرمين)(سورة الأنعام من تكذيب وعناد ، مبينا له أن هذه سنة الله في كل الرسل ، وأن الكفار هم الكفار في كل جيل يشتركون في عنادهم وكفرهم وتبجحهم فإن رأيت أن لهم قوة أو سيطرة في الدنيا فإن عقاب الله إذا نزل بهم لايستطيع أحد كائنا من كان أن يرده عنهم ، فعليك بالصبر والعمل لله دون الالتفات إلى ما تلقاه من غطرسة أو تكذيب ، بل إن القرآن ينتقل إلى مرحلة أخرى يؤكد فيها صراحة للرسول أنه لايستطيع هو أن يهدي كفار قومه فلو أراد الله لهداهم ؛ فما عليك إلا البلاغ المبين ، أما إن كان كبر عليك تكذيبهم وانحرافهم عن الحق فإن استطعت أن تخرف لك نفقا في الأرض، أو تتخذ لك سلما في السماء ؛ فتأتيهم بآية أعظم مما جئناك به فتجعلهم يؤمنون فافعل(ابن كثير ١٣١\٢، القرطبي ٨٢١\٧) .

وهذا التنجيم إنما هو رحمة بالرسول وإيناس له ؛ فإن نزول القرآن مع كل حدث فيه ما فيه من الأنس والمتعة والطمأنينة التي كان الرسول يحتاج إليها ، بل كان ذلك زاده في مواجهة مصاعب الطريق ومشاق الدعوة ، وكان البلسم الذي يشفي جروح الكفار والمشركين المتجددة معنوية وحسية (زاد المسير ٦ / ٨٨). وياللعجب من هذه العقول المتحجرة التي تناقض نفسها ، مع أنهم أهل البلاغة والأدب والفصاحة التي اعتبروها مجدهم ، ولكن ظلمات الكفر جعلتهم يتغاضون حتى عن بلاغتهم فيتخبطون في أقوالهم ، فهاهم الذين يطالبون بنزول القرآن جملة حينما فتر الوحي وأبطأ جبريل على النبي هاهم يسارعون إلى إيذائه بكلماتهم الجارحة ، فيقولون ما نرى شيطانك إلا قد قلاك وتركك !! فيا ترى لو نزل القرآن جملة كما طلبوا ماذا كانوا قائلين ؟وها هي رحمة الله بنبيه التي ادعوا عكسها ، ها هو القرآن ينزل ليخفف عن الرسول ما أصابه من صلفهم وعنادهم وافتراءاتهم عليه ، يربط على قلب الرسول ، ويحنو عليه ، ويبين له مكانته عند ربه ، ويؤكد له أن آخرته أفضل له بكثير من الدنيا فينزل قول الله تعالى (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) (سورة الضحى : ١) وبذلك تكون سورة الضحى كلها بلسما خاصا لرسول الله مما أصابه ، وشفاء مما لا يحتمله الرسول من فراق الوحي وغطرسة وعناد الكفار والمشركين (ابن كثير ٣٢٥/٤، في ظلال القرآن ٥٢٩٣/٦ : ٨٢٩٣ ، القرطبي ٣٩١٠٢)

وهناك في القرآن العديد من الآيات التي تناولت هذا الموضوع لا يسعنا المجال لإيرادها جميعا ؛ ولذا سوف نكتفي بهذا القدر خوف الإطالة .

وقد جعل البعض من أسباب نزول القرآن منجما التحدي والإعجاز، وهو مردود لأن الإعجاز يقع به منجما أو جملة ، فلا فارق بينهما من هذا الجانب ؛ فقد تحدى الكفار بأن يأتوا بمثل أصغر سوره فعجزوا ، ولجؤوا إلى السلاح ليغطوا به عجزهم (تفسير النسفي ٣ / ٧٦١).

ولعل من أسباب نزول القرآن منجما تيسير حفظه وفهمه وتدبر معانيه والوقوف عند أحكامه ، ولعلنا ندرك مدى صحة ذلك من تخوف الرسول أن يتفلت منه القرآن فلا يحفظه كله فور نزوله ، فكان يحرك به شفتيه في استعجال لحفظه ؛ فنزل القرآن معلما الرسول

أن لا يتعجل فإن الله يتكفل له بالمراحل اللازمة لاستيعاب القرآن : فالحالة الأولى جمعه في صدره ، والثانية تلاوته ، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه (ابن كثير ٤/٥٥٤) ولهذا قال تعالى : (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه)(سورة القيامة ٦١: ٩١) فطلب الله إلى نبيه أن ينصت للوحي إذا تلاه عليه جبريل ، وإنما كان يحرك به لسانه من حبه له وحلاوته في لسانه ، فنهي عن ذلك (القرطبي ١٩\٦٠١)كما قال تعالى : (فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما) (سورة طه: ٤١١).

ومن أهم الأسباب لنزول القرآن منجما مراعاة حال المخاطَبين بالوحي وعدم مفاجأتهم بما لا عهد لهم به والتدرج في التشريع ، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) (سورة الإسراء: ٦٠١) فهو لم ينزل في ليلة ولا ليلتين ولا شهر ولا شهرين ولا سنة ولا سنتين وكان بين أوله وآخره عشرون سنة أو ما شاء الله من ذلك ؛ولذلك كان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يعلم طلابه القرآن خمس آيات بالغداة ، وخمس آيات بالعشي ، ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات (الدر المنثور ٥ / ٦٤٣) ، كل هذا إنما لحكمة عالية أراد الله بها الرحمة بعباده فنقلهم من طور إلى طور بربوبية رب رحيم بخلقه ، لا يريد أن يكلفهم مالا يطيقون فيعاقبهم بذنوبهم وتقصيرهم (ابن كثير ٣\٧٣٢ كما بينت آية (سورة الحج :٨٧) ولكن يريد أن يخفف عن عباده الذين خلقهم ويعلم ضعفهم فكلفهم برفق دون مشقة (ابن كثير ١\٨٤٠ ، القرطبي ١٥\٩٤) (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا) (سورة النساء ٨٢) .

كم يجهل ذلك الإنسان رحمة ربه ! ، وكم يرفض النعم ويجحدها ! ؛ فهذه عناية الله ورعايته لخلقه ، يراعي بها أحوالهم فيجعل وحيه يتفق مع حالهم ، وقد جعله بعض العلماء من أمارات إعجاز القرآن الكريم (روح المعاني ٩١ / ٥١).

والقرآن جاء لإصلاح ما أفسدته الجاهلية القديمة ، وتقويم جاهليات بعض أهل القرون الحديثة ؛ لذلك اتبع منهجا فريدا في الإصلاح ليت كل من يتصدى للإصلاح أو الدعوة يتفهمه ويعمل به ، ذلك المنهج هو بناء الصالح قبل هدم الفاسد ونقضه ، ولذلك أبدع القرآن في التدرج بالفرد والمجتمع تدرجا محسوبا دقيقا ، يبتعد عن مخاطر الشطط ، وعوامل اليأس ، بل ينتقل برفق في قيادته من مستنقع الرذيلة إلى ذروة الفضيلة دون أن يشعر بأنه تكلف مشقة أو تحمل عبئا ، وأبرز مثال على ذلك التدرج في القرآن هو تحريم الخمر فقد تدرج القرآن الكريم في تحريمها فكان أول ما نزل فيها قول الله تعالى : قوله تعالى: (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون)(سورة النحل: ٦٧) أشارت الآية إشارة خفية إلَى أن الخمر ليس رزقاً أي لا ينتفع به، أي اكتفت بالمقارنة الضمنية بين ما هو حسن وما هو قبيح ، فامتدحت الحسن بحسنه وسكتت عن القبيح حتى حين (القرطبي ١٠\٧٢١، ابن كثير ١٢\٦٧٥ . في ظلال القرآن ٤/١٨١٢) ، وبهذا المنهج أثارت الآية النفوس الكريمة التي تنفر من النقائص؛ فبدأت تفكر

مادام الله قد جعل السكرمضادا للرزق الحسن فإنه قبيح لاينبغي للكرام أن يقعوا فيه ، وبهذه الطريقة نفرت الآية من الخمر ، ومهدت الطريق لنزول آيات التحريم ، وقبل ذلك مهدت النفوس والقلوب المؤمنة لتلقي هذا النهي ، ثم إن الآية ختمت بما يناسب مضمونها ،فجعلت فيما ذكرته عبرة لأصحاب العقول التي تفكر ، أما الذين عطلوا عقولهم عن التفكير فقد هبطوا بأنفسهم إلى درجة أحط من الحيوانات؛ فالحيوانات فطرهاالله على الغريزة الشهوانية وجردها من العقل ، وذلك لنؤدي دورها الذي خلقها الله من أجله بهذه الطريقة ، أما الإنسان فقد كرمه الله ومنحه العقل ، فإذا عطله هوى بنفسه إلى أحط الدرجات (ابن كثير ٨٢٥\٤ القرطبي ٤١١\٢) قال تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين) (سورة التين : ٤، ٥) وقد جعل العلماء العقل مناط التكليف وسبب التشريف ، بل هو أشرف ما في الإنسان (ابن كثير ٢٥\٣ ، القرطبي ٤٩٢\١٠ ، ابن كثير ٦٧٥\٢). ثم تبدأ مرحلة جديدة من مراحل الإعداد النفسي لتلقي الحكم بتحريم الخمر معشوقة المجتمع الجاهلي آنذاك ، والتي يريد الله أن يخلص عباده منها في رفق وتدرج فينزل قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا)(سورة البقرة: ٢١٩)توضح الآية بداية أن المجتمع قد تفاعل مع الآية السابقة فبدأ يفكر فيما أومأت إليه أن الخمر من المحرمات فبدأوا يسألون الرسول عن الخمر وحكمها ، وهنا تجلى رحمة الله بعباده ؛ لأنه لم ينزل إليهم النهي القاطع مباشرة بعد سؤالهم ، وإنما أعدهم بهذه الآية لمرحلة تالية ، فاكتفى ببيان أن الخمر فيها منافع ولها أضرار وذنوب ، وأن الذنوب أكثر من منافعها ، وضحت كراهية الله لها وحبه أن يتخلص عباده منها ،فارتقت الآية بالمجتمع المؤمن ارتقاءلايكون إلا بتدبير من الله العزيز الحكيم ، لقد جعلت عاشقي الخمر الذين يصبحون ويمسون عليها يطلبون بيانا واضحا في الخمر حتى وإن أدى ذلك إلى حرمانهم مما يجدونه فيها من منافع ، دون أن تتعسف في الحكم فتصدمهم به فتحدث النكسة التي لا يرضاها الله لعباده مع أنه غني عنهم جميعا (إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر .....)(سورة الزمر: ٧)، وبهذه التربية الفريدة يصل القرآن الكريم إلى الهدف المنشود فيطلب القوم هم أنفسهم أن تحرم الخمرما دامت ممقوتة وفيها من المفاسد ما فيها فيقول أحدهم وهو عمر بن الخطاب لما قرئت عليه (اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا)(ابن كثير ٦٥٢\١)

ثم ينتقل القرآن بلطف ورحمة في قيادة البشر إلى ربهم ، فيأخذهم إلى مرحلة جديدة هي أرقى من سابقتها وهي تحريم شرب الخمر قبل الصلاة ، مبينا العلة في ذلك بأنهم إذا تناولوها قبل الصلاة فلن يعلموا ما يقولون ، وهذا ينافي إقبالهم على الله تعالى ، ولما كانت الصلاة المفروضة خمسا في اليوم والليلة وكان ذلك هو الحد الأدنى لصلاة كل مسلم كانت الفرصة الممنوحة لشرب الخمر قليلة ، ومحصورة في جزء من الليل يرغب الإنسان الراحة فيه ولذلك تكاد تكون فرصة شرب الخمر معدومة ، وهذا هو هدف هذه المرحلة الحالية في التربية المتدرجة الواعية الرحيمة في قوانينها ، واضحة الأهداف والوسائل والخطوات فقال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون.....)(سورة النساء: ٣٤)

يا لرحمة الله بعباده ! يطلبون تحريم الخمر الممقوتة فينهاهم عن تناولها قبل الصلوات ، ولا عجب في ذلك فالله أرحم بعباده من الأم بولدها ، فهو يعلم إن كان في هذا المجتمع أصحاب العزيمة أمثال عمر فإن فيه من الضعفاء الذين مازالوا يحتاجون إلى وسائل جديدة كي ينكسر شوقهم إلى الخمر ، ويحتاجون وقتا إضافيا يتدربون فيه على ذلك ، فإذا أمرهم القرآن بتركها بين الصلوات وهو الوقت الذي تعودوا إدمانها فيه فتركوها فسوف ينكسر شوقهم إليها ، وسوف تضعف سيطرتها عليهم فترة بعد أخرى ، فيسهل عليهم أن يتخلصوا منها إلى الأبد دون عودة إليها أو مخالفة لأمر ربهم الذي يربطهم به في كل لحظة ، ويظهر لهم حبه لهم ورحمته بهم ، وعلمه بأن تغلبهم على عاداتهم القبيحة أمر ليس بالسهل ولذلك يؤكد لهم رحمته وعفوه بل وغفرانه فيختم بذلك الآية (سيد قطب ، في ظلال القرآن ١/٨٢٢،٩٢٢)

ومن أبرز علامات النجاح للتربية القرآنية أن يطلب المجتمع ممثلا في بعض أفراده ما يهدف القرآن إليه ،بل يكرر هذا الطلب غير قانع بالإشارة إلى خبث الخمر أو منعها قبل الصلاة فيقول أحدهم وهو عمر بن الخطاب لما قرئت عليه آية سورة النساء (اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا)(ابن كثير ٦٥٢\١) فيصير تحريم الخمر مطلبا جماهيريا قبل أن يكون أمرا إلهيا ، وعندها فقط ينزل أمر الله تعالى فيقول تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون *إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون)(سورة المائدة: ٠٩ ، ١٩) فدعى عمر فقرئت عليه فلما بلغ (فهل أنتم منتهون) قال :عمر انتهينا انتهينا (ابن كثير ٦٥٢\١. القرطبي ٥٨٢\٦ :٥٩٢) ثم إن الآية تبدأ بخطاب يأسر القلوب المؤمنة ، ويدعوها إلى الاستجابة إلى ما يلي هذا الخطاب من أمر أو نهي ، بل يجعلها تتهافت بكل ما أوتيت من قوة ، وتتنافس بكل عزيمة في الفوز بهذا اللقب (الذين آمنوا) ، وهكذا يصل القرآن الكريم بالمجتمع من الجاهلية التي تتغنى بالخمر وتتغزل فيها وتعتبرها ميزة إلى مجتمع غاية في الرقي ينشغل بمعالي الأمور ، مجتمع كل همه إنقاذ البشرية من مهاوي الرذيلة إلى سعة الله وفضله، مجتمع ينفر من الرذيلة ويتوق إلى الفضيلة ، يصل به إلى هذا الرقي دون أن يشعر بملل أو صعوبة أو عقبة من عقبات الطريق الشاق الطويل ، دون أن يقف أمام خالقه موقف العبد العاصي الذي ينفر من أداء واجباته الدينية بل يؤديها وهو يشعر بالسعادة والسرور ، بل يستمتع بأداء واجباته حتى إنه يطلب هونفسه تحريم ما لا يليق به من عادات وتصرفات .

كل هذا التدرج وكل هذه الخطوات المتأنية والمحسوبة بدقة ، وهذه التربية بما فيها من أهداف عالية ، ووسائل غاية في لفت أنظار المتربين وجذبهم إلى الدرس المطلوب تعليمهم إياه ، كل هذه النتائج التي بلغت ذروة ما لا يمكن أن تبلغه هيأة تعليمية مهما كان تخطيطها دقيقا ، ومهما كانت متميزة في أدائها ، ألا يعتبر كل هذا حسن تخطيط وحسن تدبير ، ألا نرى فيه حسن رعاية ، بلى إننا نرى فيه تخطيطا ربانيا لا يرقى إليه تخطيط البشر.

ومن أهم الأسباب لنزول القرآن منجما مسايرة الحوادث والظروف التي تتعرض لها الدعوة ، وهذا ما فهمه كثير من المفسرين من الآية (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن

تفسيرا) (سورة الفرقان : ٣٣) ففهموها أن الله تعالى يقول لنبيه هكذا ننزل القرآن مفرقا حتى ننزل عليك جوابا لكل ما يسألك عنه الكفار ، وردا على كل شبهة يثيرونها ليعلم أن الجواب من الله ، وكلما سألوك سؤالا يريدون إبطال حقك في النبوة أعطيناك ما تستحق من مكانة ، وبينا بطلان دعواهم ، وكلما خططوا لإعلاء شأن الباطل خفضناه وأعلينا شأن الحق (الدر المنثور ٥ / ٦٤٣، الدر المنثور ٦ /٥٥٢، معاني القرآن ٥ / ٤٢، تفسير الواحدي ٢ /٩٧٧ ، تفسير البغوي ٣ / ٨٦٣، فتح القدير ٤ / ٣٧ ، فتح القدير ٤ / ٥٧ ، زاد المسير ٦ / ٨٨ ، تفسير ابن كثير ٣ / ٨١٣ ، تفسير النسفي ٣ / ٨٦١)

ولعل من أسباب نزول القرآن منجما الدلالة على أنه من عند الله تعالى دلالة لا تدع مجالا للشك ؛ فلو كان من عند غير الله ونظم في عشرين سنة لما كان يمكن أن ينتظم بهذه الطريقة كحبات العقد ، تناسب كل آية ما جاء قبلها وما جاء بعدها ، فتجده لا اضطراب فيه ولا خلط ، ولعل من أكبر البراهين على ذلك أن أحاديث الرسول – وهو أفصح العرب – لا ينتظم لها ما انتظم للقرآن من جودة السبك وتلاحم العبارات وتضافر المعاني ، وهذا ما عبر عنه القرآن في قوله تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)(سورة النساء: ٢٨) فهذا هو القرآن لاتضاد ولا اختلاف فيه ، وهذا ما أقره الراسخون في العلم ؛ فلا مجال للمنازعة ، ولا سبيل إلى التشكيك فقد عجز المدعون أن يثبتوا غير ذلك ولو استطاعوا لفعلوا ولما كلفوا أنفسهم ويلات الحرب في محاولاتهم للقضاء على القرآن وأتباعه (ابن كثير ٠٣٥١١ ، القرطبي ٠٩٢١٥)

لعل هذه الأسباب الظاهرة لنا والتي اقتضتها حكمة الله في نزول القرآن الكريم منجما ، وربما كان هناك من الأسباب والحكم التي لم ندركها حتى الآن ، لكننا نستطيع الآن أن نقول دون تردد إن نزول القرآن على هذه الصورة لم يكن صدفة عابرة ، وإنما كان وفق إرادة حكيمة واعية عليمة ، تعرف الأصلح للناس فتهيئ لهم الطريق إليه ، وتدرك حاجاتهم فتأخذها بعين الاعتبار ، وظروفهم البيئية والاجتماعية فتهديهم إلى منافعها وتبعد بهم عن أضرارها ، وأوضاعم الثقافية فترتقي بهم في رفق وحنو دونما شطط أو إرهاق .

ليس من الغريب إذن أن نجد في القرآن الكريم وقد أنزل ليكون دستورا للمسلمين بل ومصدر إلهام لغير المسلمين في بقاع المعمورة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها ليس من الغريب أن نجد فيه تخطيطا استراتيجيا لا يرقى إليه تخطيط البشر بل لا يدانيه ؛ فهو ــ ولا شك ــ نزل من لدن حكيم خبير مدبر؛ فلا عجب إذن أن يكون المنزل قد رسم لهذا الكتاب أهدافا يحققها بنزوله وأخرى يحققها على المدى البعيد عبر القرون إلى يوم القيامة ، ولم لا وهو كتاب الرسالة الخاتمة ودستور البشرية الخالد ؟!

استراتيجية بناء الفرد المسلم

العقيدة :

كان القرآن معنيا بتأسيس دين جديد ، بين قوم لا يدينون بالدين الحق ، وآية ذلك أن الفترة المكية على طولها ، كانت الدعوة فيها متجهة إلى بناء العقيدة ، وترسيخها في أعماق الوجدان ، وما ذاك إلا لأنها هي قوة الدفع للإنسان المؤمن ، نحو الطاعة المطلقة لله – عز وجل – ، في الأمر والنهي ؛ ولذا فقد استمر الرسول ثلاثة عشر عاما يرسي خلالها قواعد هذه العقيدة التي سوف ينطلق بها ليغير وجه الأرض ، وهي منطلق كل حركة وكل سكنة للمسلم ، وهي مركز يدور حوله كل تكليف أو تحريم أو تطوع أو زجر أو كراهية قال تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين*لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) (سورة الأنعام ٢٦١،٣٦١)وهنا يظهر مبدأ المخالفة لأن الله تعالى يأمر رسوله أن يخبر المشركين والكفار أنهم إن كانوا يعبدون غير الله مع الله فإن الرسول ومن معه من المؤمنين يختلفون تماما عنهم فهم يتوجهون بعبادتهم لله وحده لاشريك معه ، ويصرفون كل نسكهم وذبحهم لله تعالى لاشريك له (ابن كثير ٩٩١\٢ ، القرطبي ١٥١\٧ : ٤٥١) كقوله تعالى: (فصل لربك وانحر) (سورةالكوثر ٢) ولا تقف الآيات عند هذا الحد بل تتجاوزه لتشمل كل مناحي الحياة فهي في عقيدة المسلم خاضعة كلها لله في تسليم تام ورضا واطمئنان أنها في كنف الله ورعايته ، بل تتجاوز في خضوعها وتسليمها هذه الحياة التي يراها الكافر كل همه في حين يراها المسلم مزرعة يزرع فيها ليحصد في الآخرة ؛ فتسلم الموت وما بعده من حياة أبدية لله رب العالمين لا شريك له ، ويعترف صاحب هذه العقيدة أنه أمر بذلك وأنه سمع فأطاع (في ظلال القرآن ٣/٠٤٢١ :٢٤٢١) .

ولما كان أمر العقيدة بهذه المكانة ، وبتلك الأهمية ، وكانت له الأولوية التامة ، فإننا نرى القرآن في الوقت الذي تدرج فيه في أمور التكليف وفرعيات الدين نراه في أمر العقيدة لا يتهاون منذ اليوم الأول ولا يهادن أحدا ولا يجامل أحدا ؛ وذلك لأن أمر العقيدة هو الأساس الذي سوف تبنى عليه حياة الفرد المسلم، بل المجتمع، بل الدولة المسلمة ؛ ولذا فهو لايحتمل المهادنة أو التدرج بل فصل فيه القرآن منذ اليوم الأول .

بدأ القرآن الكريم – كما أسلفنا – من اليوم الأول لنزوله في بناء العقيدة فكيف بناها ؟ وما أركانها التي اعتمد عليها في ذلك البناء ؟

وقبل أن نجيب عن هذا السؤال نود أن نبين أننا لن ندخل في جدل ومناقشات عقائدية أو فلسفية فليس هذا هدفنا إنما نهدف في ذلك إلى أن نلمس الجوانب المتعلقة ببناء الشخصية المسلمة كما هي في القرآن الكريم والتي تهدف إلى الوصول به إلى أهداف معينة ومقاصد محددة .

بدأ القرآن في أول آية نزلت على رسول الله في بناء عقيدة كانت قد غابت عن جزيرة العرب أو أوشكت أن تغيب وهي عقيدة التوحيد فقال تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق.....) (سورة العلق ١ : ٣)

فمنذ البداية يؤكد القرآن في هذه السورة على أن الله وحده هو الذي خلق الإنسان من مجرد نطفة تتحول إلى دم ثم تمر بمراحل الخلق التي ذكرت في سورة "المؤمنون" ، ثم كرمها الله

الكريم بأن جعلها تدرك وتتعلم ، وتفضل عليها فعلمها ، ثم تؤكد السورة أنه كما كان المنشأ من الله تعالى فإن المرجع والمصير إليه وحده (القرطبي ٨١١١١ : ٠٢١).

ويجدر بنا أن نؤكد على منهج القرآن في هذا الجانب وهو بناء الصحيح السليم قبل هدم المعوج السقيم ، وقد بنى القرآن الفرد المسلم باستراتيجية لم أعثر على مثلها قبل نزوله ولا بعد نزوله ، فقد ارتقى به بشكل هرمي جعل في قاعدته العقيدة ، ثم يأتي بعدها العبادة ، ثم تأتي بعدها الأخلاق ، ثم المعاملات ، وأخيرا تكون نهاية الدواء الكي فتأتي الحدود ، ويستقيم الهرم ما دامت القواعد راسخة ثابتة ، وينتكس إذا حدث خلل في إحدى الطبقات التي تسبق في البناء طبقة الحدود ، وهي الذروة .

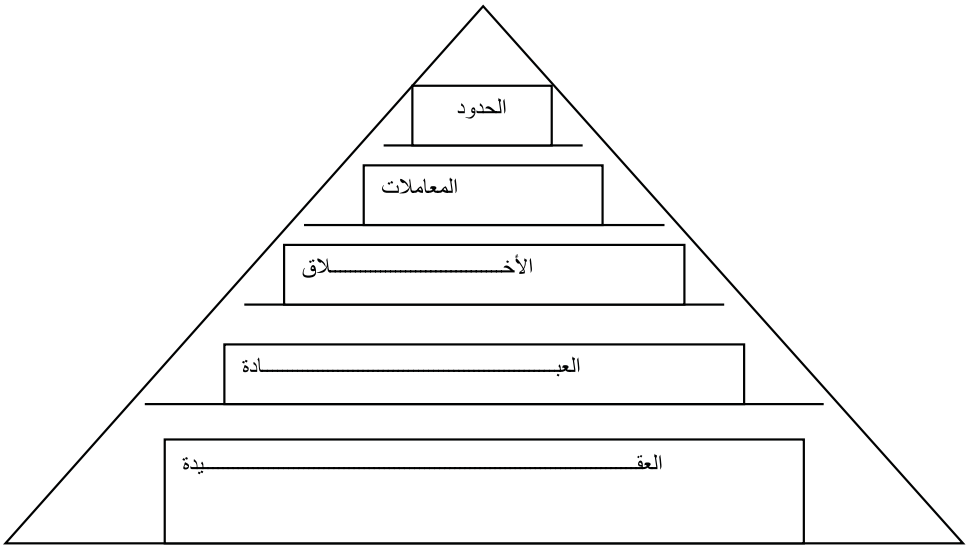

شكل توضيحي رقم (١)

وسوف نتناول مكونات بناء الإنسان وفق الترتيب السابق والذي استقرأناه من القرآن الكريم .

وهذا البناء كما هو واضح في الشكل السابق يجعل العقيدة هي الأساس الذي يعتمد عليه البناء ، ولها الحظ الأوفر في ذلك البناء ، كما تشغل قاعدته ، هذه هي عقيدة التوحيد التي تعتبر مركز القرآن الكريم بل هي الهدف الأول والأساس الذي ستبنى عليه دعوته وتركز آيات القرآن المكية على هذا الهدف بشكل جلي ومنظم وواع فها هي سورة "الإخلاص" في أربع آيات تعدل ثلث القرآن وما ذلك إلا لأنها ترسخ مبدأ التوحيد وعقيدته ،قال تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد * ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد) ويروى أن سبب نزولها هو أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى (قل هو الله أحد .....)(ابن كثير ٦٦٥١٤)

وهذه السورة على قصرها تقرر أعظم المبادئ وهو أحدية الخالق الذي أنشأ من العدم ولم ينشئ أحد غيره ، فلا يستحق أحد العبادة إلا هو، ولما كان سواه لايفيد في دفع ضر أو جلب خير فلا ينبغي ولا يجوز أن يسأل غيره ولا يستحق ذلك ، وتلك الحقية اعترف بها أعتى عتاة الكفر الذين تجبروا في الأرض وتكبروا بل ادعى أنه رب الناس فقال فيما يرويه عنه القرآن في قوله تعالى : (فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى)(سورة النازعات ٣٢ ، ٤٢) حتى وإن ادعى أنه لا يعلم إلها غيره قال تعالى (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين)(سورة القصص ٨٣) بل بلغ به الكبر والعناد أن يتهدد النبي الذي دعاه إلى التوحيد لينقذه من الهلاك في الدنيا ومن النار في الآخرة فقال فيما يرويه عنه القرآن في قوله تعالى:(قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين)(سورة الشعراء .٩٢) ورغم هذا العناد والتكبر والافتراء بل قل والتبجح أمام الله فلم يستطع أن ينكر هذه الحقيقة حين أدركه الغرق جزاء بما فعل فقال فيما يرويه عنه القرآن في قوله تعالى : (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين)(سورة يونس ٠٩) فرد الله عليه إيمانه لأنه إيمان الذي تأكد له هلاكه وليس إيمانا نابعا عن فكر وروية وبحث عن الحقيقة قال تعالى : (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين * فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون)(سورة يونس ١٩ ، ٢٩)

والأحدية التي تركزت عليها سورة الإخلاص أدق في التعبير من الواحد ؛ فالواحد يمكن أن يكون له ثان أما الأحد فلا ثاني له .

والأحدية في التصور الإسلامي هي: عقيدة في الضمير ، تفسير للوجود ، منهج للحياة، فهي التي تجعل الفرد رقيبا على نفسه ، يحفظها من كيد الشيطان ، ويحصنها من إغراء الملذات ، وسياج يمنعها من الانزلاق في مستنقع النزوات ؛ فهو يرعى الله في كل حركة وسكنة ، ولا يخشى غيره لعلمه بعجز غير الله ، إذن هو لا يحتاج في أداء واجبه إلى رقيب يراقبه ، وهو يطلب حقه لا يتجاوزه ، ويحفظ حق غيره بلا سلطان يردعه .

ثم إنها تفسير للوجود ؛ فالمسلم بهذه العقيدة يرى ما في الكون حوله إما نعمة من الله ، فيستخدمها على الوجه اللائق بمهمته في الخلافة في الأرض ، وإما محتاج منه إلى رعاية فيقوم بمهمته طلبا للأجر من الله ، فالإنسان في هذا الوجود أخ في الإنسانية له حقوقه التي يرعاها المؤمن بهذه العقيدة ، والحيوان والطير وغيره من ذوات الكبد الرطب ، له حقوق رعايتها هي رعاية لهذه العقيدة ، وسبب للأجر ، وإهمال هذه الحقوق هو تعطيل لهذه العقيدة ، وسبب في الوزر، وها مبلغ القرآن الكريم يؤكد ذلك في حديثه (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجرا فقال

في كل كبد رطبة أجر)(صحيح مسلم ١٦٧١/٤.ح.ر: ٤٤٢٢، صحيح البخاري ٢/ ٠٧٨ ، صحيح ابن حبان ٢ / ١٠٣)

بل إن الله ليغفر الكبيرة برحمة الحيوان (عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث قال كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك)(صحيح البخاري ٣ / ٦٠٢١ح. ر: ٣٤١٣)

وعكس ذلك من صلى وصام وعمل من الخيرات لكنه آذى حيوانا فعقابه النار (عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار قال فقال والله أعلم لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض)(صحيح البخاري ٢ / ٤٣٨ ح. ر: ٦٣٢٢، صحيح مسلم ٢ / ٢٢٦ ، ٤ / ٠٦٧١)

بل إن هذه العقيدة لتسمو بصاحبها سموا لم تدركه ولم تقترب منه حضارة ولا مدنية من :(الحضارات التي يدعون لها الفضيلة ، إنها تجعل الوجود كله يسبح بحمد الله قال تعالى يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) (التغابن:١) ومن شواهد ذلك أيضا الآيات التالية:(الجمعة :١) و(الحشر:٤٢)هذه الآيات تؤكد أن كل شيء في السماوات والأرض يسبح بحمد الله ؛ فهو بهذا المعنى شريك للإنسان المؤمن في التسبيح بكل ما تمليه هذه الشراكة من محبة ومودة وثقة وتعاون وألفة ، وهو زميل له في المهمة السامية ، إذن فغايتهما واحدة ، وطريقهما إلى الله واحد ، ومحبوبهما أحد ؛ فلن يكون هناك مبرر لتنافر أو شحناء أو ضغينة .

فإن كان غير المؤمن عبد بعض مخلوقات الله إما خوفا أو طمعا فإن المؤمن يرى كل ما يمكن أن يخافه البشر من ظواهر أو كواكب أو غيرها يراها تسبح بحمد الله تعالى ، فها هو الرعد الذي يرعب كثيرا من بني آدم ها هو في التصور القرآني يسبح بحمد الله قال تعالى: (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال)(الرعد : ٣١)

وإن كان الإنسان لا يفهم لغة الطير أو الحيوان فإن ربهم يخبر أنها جميعا تسبح بحمد الله ،وهو عليم بفعلهم ، خبير بحالهم ، قال تعالى :(ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون)(النور : ١٤)

ويفصل القرآن القول في هذا الجانب فيخبر أن التسبيح لا يشمل الإنسان أو الحيوان فقط بل إنه لا يوجد شيء إلا يسبح بحمد الله تعالى ، حتى ولو لم يفهم الإنسان هذا التسبيح قال تعالى: (تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا)(الإسراء : ٤٤) هكذا تقرر الآية ما من شيء إلا يسبح بحمد الله تعالى ، كل شيء بشمولية هذه الكلمة من كائن حي أو جماد ، فهو مسبح

بحمد الله ؛ ولذلك فهو عبد لله ، ومخلوق من مخلوقاته ، فلماذا يخشاه المؤمن ؟ ولماذا يعبده؟ مادام مأمورا بأمر الله ، لا يملك نفعا أو ضرا .

و الأحدية في التصور الإسلامي هي منهج للحياة ، به يحيا المؤمن وعلى أساسه يتصرف ، فهو لا يخشى مخلوقا على شيء مما يمكن أن يراه غير المؤمن واقعا في سلطان البشر ؛ فهو حر مختار ، ليس بحاجة إلى نفاق رؤسائه ، ولا يطلب رزقه من غير الله فهو يعلم أن ذلك يناقض عقيدة الأحدية قال تعالى: (قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين)(الأنعام : ٤١) ومن أدلة ذلك الآيات : (يونس :١٣) و (الملك ١٢) و (النمل ٤٦) ، و(سبأ ٤٢) و (فاطر ٣) بل إن أحب الخلق إلى الذي لا ترد دعوته من الله مأمور من الخالق أن يعلن أنه لا يستطيع هو أن يجلب لنفسه نفعا أو يدفع عنها ضرا ، بل إن الأمر كله لله تعالى وحده ،وأن علمه محدود بما أراد الله أن يعلمه إياه ، ولو كان يعلم الغيب لكان حاز كثيرا من الخير لنفسه ، ولكنه مجرد بشير للمؤمنين بنعيم الله ، ونذير للمشركين والكفار والعصاة من عذابه ، قال تعالى: (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (الأعراف : ٨٨١) .إذن فالمؤمن في هذه العقيدة لا يخضع لسلطان البشر ، فهو حر طليق بكل ما تعنيه كلمة الحرية من ضمانات ، فلن يصيبه ضرر أو نفع سواء أ كان صغيرا أم كبيرا إلا ما كتبه الله عليه ، والله رب الناس جميعا ، الرحمن الذي يشمل برحمته البار والفاجر والمؤمن والكافر ، فعلام يكون القلق ، ومم يكون الخوف ، فما أجمل هذه الحرية في ضوء عقيدة الأحدية، قال تعالى: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (التوبة : ١٥)

وهذه الحرية التي تعطيها هذه العقيدة ليس معناها أنه يتناقض مع زملائه ورؤسائه ومحيطه بل معناها أنه يبحث جاهدا عن طريق التوافق مع هذا المحيط الذي هو مطالب وفق هذه العقيدة أن يتعايش ويتوافق معه ،ولكن هذا التوافق والتعايش لا يكون فيه تنازل عن دين، أو موافقة في معصية ، فهذا الحد الفاصل بين من أطاع الله ومن عصاه ، لذلك كان أصحاب رسول الله الذين رباهم القرآن الكريم يعرفون هذا الحد ؛ فيوافقون المؤمن ويخالفون الفاجر في أفعاله ويظهرون هذه المخالفة ، كل ذلك في عزة المؤمن المعتز بدينه وعقيدته ،وبهذا المنهج سار الصحابة كما علمهم الرسول الكريم ، (عن ميمون بن أبي شبيب قال صعصعة لابن أخيه إني كنت أحب إلى أبيك منك فأنت أحب إلي من أبي إذا لقيت المؤمن فخالطه وإذا لقيت الفاجر فخالفه) (مصنف ابن أبي شيبة ٥ / ٣٩٢ ح. ر: ٩١٢٦٢) . ونجد أيضا ما قاله عبد الله بن مسعود : (خالطوا الناس وزايلوهم وصافحوهم ودينكم لا تكلمونه) (المصدر السابق ٥ / ٣٩٢) بهذه الدقة (لا تكلمونه) مجرد كلم ، أو خدش فيما يخص الدين والعقيدة فلا ، وإنك لتقف وقفة إجلال وتعظيم لهذه العقيدة حينما تعلم ما كان يفعل الكفار بعبد الله بن مسعود والمسلمين جميعا من أذى وضرب وإهانة ، ثم تجد مثل هذا الرقي في التعامل والتعايش ، فيأمر بالمخالطة بكل ما تعنيه من علاقات اجتماعية ، والمصافحة بكل ما تدل عليه من المودة ، ما لو فعله في عصرنا عالم لوصل الحال ببعض من يدعون العلم إلى

تكفيره ، بل إنك ليشتد عجبك حين يستطيع الجمع بين النقيضين ، فيجامل ، ويخالط ويصافح وهذا من حسن المعاشرة ، لكنه لا يتنازل عن شيء في عقيدته ودينه ، كل هذا يفعله بأسلوب راق يجبر الكافر على احترام هذه العقيدة لمجرد أنها أخرجت مثل هؤلاء الرجال .

ومحيط المؤمن هذا هو الناس كل الناس ، على اختلاف ألوانهم وأعراقهم ،وعلى تنوع أديانهم ومذاهبهم ومخالطة الناس والصبر على أذاهم يرفع المؤمن درجة نحو الخيرية عن المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المؤمن الذي خالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)(المصدر السابق ٥ / ٣٩٢ ح. ر: ٠٢٢٦٢) وهو حين يفعل ذلك لا يشعر بأنه اعلى من الناس درجة فيتكبر عليهم أو يعجب بنفسه بل يحب الناس كل الناس ويتمنى لهم الخير ، وإذا أخبره أحد ولو في الحرب بأنه أسلم فعليه قبول الظاهر وترك النوايا لله يحاسب عليها ، وعليه أن يدرك جيدا أن ما هو عليه من الإيمان ليس بسعيه هو أو بذكاء منه ، وليس مخولا بهذا الإيمان أن يتحكم في حياة الناس ؛ فقد كان هو مثلهم فأنعم الله عليه بالإيمان ، فلا يفضل ولا يدل بنفسه على غيره بنعمة الله ، بل عليه أن يشكر هذه النعمة ، ويقتضي شكره أن يحرص على هداية الآخرين بمودة ورحمة ، لا أن يصفهم الكفر ويحاربهم لمجرد أنه يختلف معهم في العقيدة ، فالناس كل الناس عيال الله ، والله ربهم ورب العالمين ، الرحمن في الدنيا الرحيم في الآخرة ، فينبغي أن يتراحم الناس برحمة الله التي وضعها فيهم ،والمؤمن في هذا الجانب عليه أن لا يفكر في عرض دنيوي فما عند الله خير وأبقى ، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا) (النساء: ٤٩) وإن كانت الآية نزلت في حادثة معينة ، وهدفت تربية جيل الصحابة فهذا لا يلغي عموم لفظها وإن كان السبب مخصوصا ؛ فهي تخاطب المؤمنين على مدى العصور والأزمان . بل إن القرآن ليربي تربية أعلى مما يمكن أن يتخيله بشر ؛ فهو يؤكد أن بعض أهل الكتاب يتمنون عودة المسلمين كفارا ، ويطلب إلى المؤمنين العفو ، ولا يقف عنده بل يدعوهم إلى الصفح ، والصفح معناه نسيان الإساءة ، ويعدهم في مقابل ذلك بأن الله ناصرهم لا محالة فما عليكم إلا الصبر ، قال تعالى: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير) (البقرة : ٩٠١) وإن قيل إن الآية منسوخة بآية القتال فإن القرآن في المرحلة التي نتحدث عن بناء العقيدة فيها كان يهدف من وراء هذا إلى تربية الفرد المسلم وهذه مرحلة من مراحل هذه التربية ، وهذا من الحكم التي نفهمها من النسخ في القرآن الكريم .

بل يستمر القرآن في تربية الفرد المسلم على أنه يؤدي كل ما يؤديه لله ، لا يطلب به ود أحد ولا يمنعه بسبب الضرر الواقع عليه ممن أحسن إليه ،مهما كان هذا الضرر ، قال تعالى: (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) (النور ٢٢) فهذه الآية نزلت تخاطب أبا بكر الصديق ومن شايعه على الحق من المؤمنين ، إذ كانوا قد أقسموا ألا

يصل منهم خير إلى مسطح الذي كانت أمه بنت خالة أبي بكر وكان أبو بكر ينفق عليه ، فلما اعتدى مسطح على أغلى ما يمتلك الصديق وبنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما كان من الطبيعي جدا أن يمنع أبو بكر ومن يحبه ما يقدمونه لمثل هذا الرجل ، ولكن القرآن يربي هذه التربية التي تعلو على الأحقاد ، ويربط كل شيء يقوم به المؤمن بطاعة الله ، فيكون التعامل مع الله لا مع البشر ، ويكون العطاء لله لا لغيره ، وتسمو هذه التربية بهذا الجيل وبالمؤمنين بصفة عامة فتطلب إليهم أن يعفوا ويصفحوا فإن ذلك سبب في عفو الله ومغفرته ، وتسأل الآية (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فيكون الرد سريعا في خضوع وتذلل لله تعالى فيرد الصديق : بلى يا ربنا نحب أن تغفر لنا (العجاب في بيان الأسباب ١ / ٦٧٥ ، صحيح البخاري (الجزء الخاص في التفسير) ٤ / ٤٧٧١ : ٧٧٧١، تفسير ابن كثير ٣ / ٠٧٢ : ٣٧٢ ، تفسير الطبري ٨١/ ٥٩ ، ٢٠١)

و الأحدية في التصور الإسلامي هي أحدية فاعلة وليست خاملة وهذا الشكل التوضيحي يبين مجالات عمل قيدة الوحدانية (في ظلال القرآن ٦/ ٢٠٠٤):

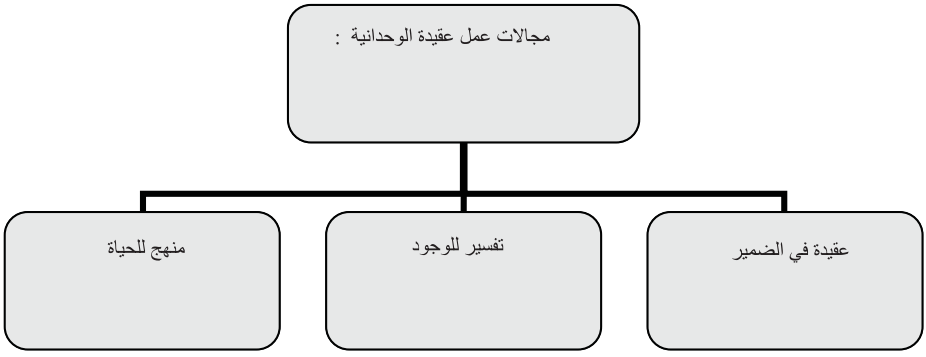

شكل توضيحي رقم (٢)

وهي عقيدة لا تقبل المساومة ، ولا تقدم التنازلات عن ثوابتها مهما كان الثمن المعروض ، فالثوابت لا جدال حولها ولا مفاوضة أو مقايضة فيها ، وها هو القرآن في مكة يفضح محاولات الكفار المستميتة والمستمرة لفتنة الرسول عن بعض ما أنزل الله إليه مقابل بعض التنازلات منهم أو دخولهم في الإيمان ، وقد تنوعت أساليبهم في محاولات الفتنة والإغواء .....فمنها أنهم عرضوا عليه أن يعبدوا الله مقابل أن يترك الرسول التنديد بآلهتهم ، ومنها أنه ساومه بعضهم أن يجعل لهم أرضهم حراما كالبيت الحرام الذي حرمه الله تعالى في مقابل إسلامهم ، ومنها طلب بعض الكبراء أن يجعل لهم مجلسا غير مجلس الفقراء ؛ لأنه لايليق – في ظنهم – أن يجلس السادة إلى جوار الخدم والعبيد أو عامة الناس فينبغي أن يرى الناس فضل السادة ويعرفوا مكانتهم . ويحمل القرآن حملته عليهم مبينا أن كل هذا المكر باء بالفشل لأن الله مؤيد رسوله ومناصره ولم ولن يتركه لهؤلاء الحمقى ينحرفون به عن هدي الله ؛ فالله يعصمه من مثل هذه الانزلاقات لأنها لو حدثت ستكون الطامة الكبرى ،

وسيحل غضب الله بدلا من رحمته ، ولا يليق بنبي مرسل فضلا عن أن يكون خاتم الرسل لا يليق به أن يسقط في مثل هذا المستنقع الجاهلي في أفكاره وأفعاله، ولذلك فإن الله عصمه من ذلك ، بعد أن فكر – وهو يجتهد لمصلحة الدعوة – في أن يركن إلى أحد الحلول الوسط ؛ لأنه لا يرى فيها خسارة لدينه (ابن كثير ٤٥١٣، القرطبي ٤٥١٣) فيقول الله تعالى : (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا * ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا * إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) (سورة الإسراء ٣٧: ٥٧)

بل إن القرآن لا يقبل مجرد مجاملة في تصرف يومي إذا وجهت هذه المجاملة لكافر على حساب المؤمن ، ويعاتب الرسول الذي كان يسعى لخير الدعوة ونصرتها ولا يهدف في ذلك إلى هدف شخصي أو مطمع دنيوي ، أو غرض قبلي ؛ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في إسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم من شيء ويلح عليه وود النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايته ، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فأنزل الله تعالى : (عبس وتولى ....) (سورة عبس ١ : ٠١) يعاتب الله تعالى رسوله معاتبة علنية في كتابه الذي يتعبد بتلاوته ، فيقول له لقد كشرت وأشحت ، وتمنيت لو لم يأتك هذا الفقير الأعمى ، وما الذي يدريك لعل هذا الفقير الأعمى يمس قلبه الذكرى مما تقول ، أو يطهر نفسه بالنور الذي أنزل إليك ، فلعله خير من ذلك الكافر الذي تحاول جاهدا هدايته ، ولعله أثقل في ميزان الله من ذلك الكافر ، إنه لا يليق بك أبدا أن تعرض عن من قصدك يطلب الهدى والموعظة ، فتنشغل و تتشاغل بذلك الكافر عنه ، وهو الذي يعد نفسه غير محتاج لك ، ولست مطالبا بهدايته ، ولا محاسبا على غوايته ، ومن هنا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يخص بالإنذار أحدا بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغني والسادة والضعيف والرجال والنساء والصغار والكبار ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة. (ابن كثير ٨٢٥\٤ ، ٩٢٥، القرطبي ٧١١\١٠٢ : ٤٢١)

والله في هذه العقيدة التي بناها القرآن لا يقبل الشرك فهو وحده الذي يستحق العبادة دون سواه ولذلك تعجب الكفار حين طلب إليهم أن يقولوا لا إله إلا الله فقالوا فيما حكاه القرآن الكريم عنهم (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) (سورة ص:٥) . فهم يريدون أن تكون الآلهة متعددة ، وكلٌ يعبد ما يريد.وهم لا لا يريدون توحيد الألوهية، بل يطيقون أن يسمعوا ذكر الله تعالى وحده فيضجرون وتضيق صدورهم وتشمئز قلوبهم ، أما إذا سمعوا الشرك فإنهم يفرحون وتنبسط أساريرهم توقعا للخير وهذا ما يحكيه القرآن ، وهذا عنهم في تعجب واستنكار في(سورة الزمر: ٥٤) .والله في هذه العقيدة لا شيء مثله وَلَمْ مأخوذ من قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (سورة الشورى:١١)، وقوله تعالى: (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (سورة الإخلاص : ٤) ، وقوله تعالى: (فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا) (سورة البقرة: ٢٢)، أي شبهاء ونظراء. وقوله تعالى: (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (سورة مريم: ٥٦)، البقرة: ٢٢)، أي شبهاء ونظراء.

أي : مماثل يساميه سبحانه وتعالى، فالتمثيل والتشبيه منفيان عن الله عز وجل، وهذا ما لم يدعيه أحد غير الله ولم ينازع الله فيه فثبت أن غير الله عاجز محتاج فلا يستحق العبادة .

تناول القرآن هذا والله في هذه العقيدة لا شيء يعجزه وهذا إثبات لكمال قدرته ، وقد الموضوع في كثير من الآيات يهدف بها أن يغرس في نفس المؤمن أنه إذا كان الناس يتناصرون عليكم فإنكم منصورون ممن لا يعجز بل يفعل مايريد قال تعالى : (إنما أمره إذا : ٠٢١) ومما يبين ذلك المعنى بشكل جلي أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)(سورة المائدة ٤٤). (سورة فاطر: (سورة الكهف : ٥٤). :

يعجزها شيء ، إذا أراد شيئًا والقدير معناه: المبالغ في القدرة، فقدرته سبحانه وتعالى لا فإنما يقول له: كن فيكون ،فأين قوة الإنسان الضعيف الذي لا يستطيع أن يجلب لنفسه نفعا أو يدفع عنها ضرا ؟ أين ما يزعمون من آله عاجزة ؟ إ ن كل هذه المخلوقات ليس لها إلا الإذعان لقدرة الله وسلطانه ؛ فأنى يخافها المسلم الموحد .

والله في هذه العقيدة يعلم كل صغيرة وكبيرة قال تعالى: (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) (طه : ٠١١) ومن شواهد ذلك أيضا الآيات التالية : (الأنبياء : ٤) و (البقرة :٧٧) و(التوبة: ٨٧) و(هود: ٥) و (النحل : ٣٢) بل يعلم الله ما تحمل كل أنثى من إنسان أو حيوان ، ويعلم ما يخرج من الأرحام وما يخلق فيها ، والله بعلمه وقدرته لا يترك الأمور في صغيرة أو كبيرة تمشي خبط عشواء بل يقدر كل شيء بقدره ، ويزنه بميزانه العدل ، فلا يطغى شيء ولا يزيد عما قدره الله ، ولا يقصر أو ينقص عن ذلك ، قال تعالى : (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) (الرعد: ٨).بل إن علم الله يصل إلى كل ما يخفى على البشر ولو عن طريق الخلسة السريعة الخاطفة قال تعالى:(يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) (غافر : ٩١).

والآيات القرآنية في هذا الباب كثيرة لا يتسع المقام لعرضها والوقوف على أسرارها ، ولكن نؤكد هنا أن القرآن تناول هذا الجانب من العقيدة بحيث غرسه في ضمير المسلم فصار في الوعي واللاوعي يعلم هذه الحقيقة ويتحرك في ضوئها ، فهو يعلم أن الله مطلع عليه في كل حين ؛ فيعلم من يظلمه وسوف يرد حقه في الدنيا أو الآخرة ؛ فعلم الله ليس علما سلبيا لا يتدخل صاحبه في شيء ولكنه يمهل ولا يهمل ، يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته قال تعالى: (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين)(آل عمران : ٨٧١) وقال: (فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا) (مريم : ٤٨). وخلاصة القول تختم به الآية الكريمة التي سنوردها ، إذ تخبرنا أن الله لا يغيب عنه مثل ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، فهو مطلع على كل شيء حافظ له قال تعالى: (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين)(سبأ : ٣)

فإذا كانت هذه هي عقيدة المسلم التي يعتقدها في ضميره ، ويفهم بها الوجود من حوله ،

ويحيا بها كمنهج يسلكه ، فإنها بلا شك سوف تنتج فردا يعيش في مجتمعه بسلام ووفاق ، وسيكون عضوا نافعا لا لأهله أو جيرانه أو بلده فقط بل سيكون نافعا للمجتمع الإنساني كله ، على تنوعه في العرق أو اللون أو الدين أو المذهب .

استراتيجية القرآن في بناء هذه العقيدة

لقد اتبع القرآن الكريم مناهج متعددة في بناء هذه العقيدة نقف منها عند ثلاثة نراها الأساسية في هذا البناء القرآني للعقيدة وهي :

منهج الحوار والحجة :

فالقرآن لا يقبل التقليد في أمر العقيدة ، وكثيرا ما عاب على الكفار تقليدهم ، ووجههم إلى استخدام عقلهم والتفكير ؛ فهم محاسبون على تصرفاتهم ولن ينفعهم تقليدهم ، قال تعالى: (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)(الزخرف : ٣٢). ومن شواهد ذلك أيضا الآيات التالية : (المائدة : ٤٠١) و(الأعراف : ٨٢) و(الأنبياء : ٣٥) و(لقمان : ١٢و(البقرة : ٠٧١). كل هذه الآيات تعيب على المشركين والكفار تقليده آبائهم دون علم أو تفكير وتدعوهم إلى التفكير وعرض عقائدهم على عقولهم .

ويتبع القرآن أسلوبا فريدا في مناقشة العقائد الباطلة والدعوة إلى عقيدة الأحدية ، فيدعو إلى التفكير في خلق السماوات والأرض هل يستطيع أحد غير الله خلقهم ؟ ، أو هل ادعى أحد أنه خلقهم ؟ وقد أخبر الله أنه خلقهم فلما لم يقم من يدعي ذلك ثبت بدليل العقل والمنطق أن خالقهم هو الله وحده ، ولكن المشركين يسوون بين من خلق ومن لم يخلق .

ثم تناقش الآيات قضية خلق الأرض وما جعل الله فيها من نعم وأسرار بعضها عرفها الناس وبعضها لم يعرفوه حتى الآن ، وكل هذه النعم والآيات شهيد على أن الله لا إله غيره ، ثم يسأل سؤالا يقرر به حقيقة لا يستطيع عاقل أن ينكرها إذا ما فكر في هذه الآيات الكونية من حوله ، خصوصا في ضوء مكتشفات العلم الحديث التي لو أردنا الوقوف أمامها لطال بنا الحديث ، ولكنا نشير إشارة سريعة إلى أن دلالة هذه الآيات كلما تقدم العلم كلما فهمها الناس ، وكلما فكر فيها العلماء كلما ازداد المؤمن إيمانا ، وآمن بعقيدة الأحدية من لم يكن يعرفها ، فالدلالات العلمية الثابتة والتي شهد بصدقها غير المسلمين تؤكد ، أن القرآن كتاب الله الخالد تنزيل من حكيم حميد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . (زغلول النجار ٢٠٠٢) يوليو السنة ١-٦٢١ :العدد بجريدة الأهرام المصرية

والآيات الكريمات وهي تناقش قضية خلق الأرض بالشكل الذي هي عليه ترشد الناس إلى الطريق العلمي للوصول إلى الخالق تعالى إذ لو فكر أي عاقل في الماء الذي ينبت الله به ما لا يعد من أنواع المحاصيل والزروع والفواكه بأنواعها لعلم دون عناء أن كل هذا إنما هو بفضل الله ونعمته ، ولو فكر في الأرض وحركتها التي أشار القرآن إليها في حديثه

عن الجبال وهي تمر مر السحاب ، قال تعالى: (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) (النمل : ٨٨)، وحديثه عن مهمتها في تثبيت الأرض وجعلها ثابتة غير مضطربة ولا مختلة فسوف يصل إلى التوحيد وحده دونما مشقة . ولو فكر في البحر وما فيه من أسرار ودلالات على قدرة الله ، وكيف حجز بقدرته طبقات البحر الواحد من الاختلاط بعضها ببعض رغم ما تحاوله الأمواج ، وكذلك منع بحكمة وقدرة البحر من الاختلاط بآخر وجعل بينهما حاجزا لا يتجاوزاه لوصل بسهولة ويسر إلى عقيدة لا إله إلا الله (زغلول النجار المقال السابق)، ولذلك عقبت الآيات بالسؤال (أإله مع الله؟)وتختم بحقيقة جهل الكافرين (بل أكثرهم لا يعلمون) فلو علموا لقبلوا الحق والعدل وهو التوحيد .

قال تعالى: (أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون* أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون* أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون* أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون* أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)(النمل : ٠٦: ٤٦). ثم تناقش الآيات أمرا فطريا في بني الإنسان ، فهم حينما يضطرون أو تنزل بهم نازلة لا يلجؤون لأحد غير الله تعالى ، يطلبون عونه ويستمدون مدده ، ويستنصرونه ، ويجعلهم خلفاء الأرض ، وهذه نعمة أخرى يمتن الله بها على خلقه ،ولكن بني البشر قليلا ما يتذكرون ، ويستمر الحوار بالدلالات العقلية للوصول إلى الله وهو دليل الهداية ، فتتساءل من الذي يهديكم في ظلمات البر والبحر بما أهداكم من نجوم تنير الطريق وتعين على تحديد الاتجاهات فيسهل الوصول إلى المقصد ، فهل يمكن أن يدعي عاقل وجود إله غير الله تعالى ؟ وإنك لترى حرص القرآن على هداية الناس باستخدام هذا الحوار فيثير في النفس الإنسانية مجموعة من الأسئلة التي إن فكر فيها عاقل فسيصل إلى الله ، فمن يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ ومن يرزقكم من السماء والأرض؟ أإله مع الله؟ ، فإن ادعى باطلا أي مدع أن غير الله فعل ذلك فعليه أن يأتي بالدليل الساطع والبرهان القاطع وكل ذلك يحتاج إلى تفكير وبحث للوصول إلى الحق ، وهذا هو ما يرمي إليه القرآن ، في حواره الذي يحترم عقل المخاطبين ، بل ويدعوهم إلى التفكير، بل ويعلن في كثير من آياته أنه يمتدح الذين يفكرون قال تعالى:(وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)(الجاثية: ٣١) ومن الآيات الدالة على ذلك:(النحل:٤٤) و(الأنعام:٩٩) و(البقرة ٤٦١) و(الحج:٦٤) و(العنكبوت :٣٦) و (الجاثية :٥) و(الرعد :٤) . ويعيب القرآن على الذين لا يستخدمون عقولهم في التفكير قال تعالى: (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا)(الفرقان: ٤٤)

وحوار القرآن في هذا الجانب حوار ينبغي أن يقف عليه كل من يتصدى لأمر الدعوة أو التعليم ، فهو منهج راق في الأسلوب ، لا يقبل الغليظ من القول في الحوار ، بل لا يعتمد

الحسن المقبول منها ولكنه يحصر أساليب الحوار والنقاش في الأحسن ، الأحسن وفقط ، قال تعالى: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) (الإسراء : ٣٥)وجدير بنا أن نقف عند تعبير القرآن (وقل لعبادي) فاللفظ عام في كل عبد من عباد الله والخلق جميعا عباد له ؛ فيكون قول التي هي أحسن لعباد الله جميعا دون تفريق أو تمييز ، قال تعالى: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)(العنكبوت : ٦٤) وهذه الآية وإن قيل إنها نسخت بآية السيف فهي تبقى ضمن مرحلة التربية القرآنية للفرد المؤمن ليكون نموذجا حضاريا إنسانيا في تصرفاته ، فهو نموذج يحتذى في مواجهة النموذج الجاهلي القبيح .

وهو منهج يبحث على نقاط الالتقاء فهو يجمع ولا يشتت والآية السابقة دليل على ذلك ، وكذلك (آل عمران :٦٤). وهو لا يقطع الطريق إلى الإيمان أمام من يناقشه بل يفتحه ، فلا يتعصب في دعوته مدلا بعلوه وفضله ، بل يدعوهم إلى الإيمان ونبذ كل مظاهر الشرك ، فإن أبوا فيطلب شهادتهم بأن من يتبعون القرآن هم المسلمون . وهو يحترس عند حديثه عن الأفعال السيئة لبعض أهل الكتاب قلا يترك فرصة للتعميم فهو منهج خاطئ في مقدماته خاطئ في نتائجه قال تعالى: (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون)(آل عمران :٣١١).وهو منهج بعيد كل البعد عن السب أو الشتم يأباه ويمنعه ؛ فهو مع علمه ببطلان عقيدة المشركين ،وتأكده من عدم جدوى من يدعونهم من دون الله يرفض أن يسبهم أحد من المؤمنين ، ويخبرهم أن الحكمة من ذلك هي عدم إعطاء الجهلاء حجة أو مسوغا ليسبوا الله دون علم (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون)(الأنعام ٨٠١).

وهو مع ذلك قوي الحجة قوي البرهان يلجم المعارضين ، ويأتي بالدليل القاطع على بطلان ما يدعون ، قال تعالى: (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين)(البقرة ٨٥٢) والآية تناقش قضية الألوهية مع من يدعيها ظلما وعدوانا في حوار هادئ يبين فيه أن الله هو الذي يحيي ويميت ، ولكن النمرود يتمادى في غيه وظلمه فيأتي برجلين يأمر بقتلهما ثم يعفو عن أحدهما ويأمر بقتل الآخر ثم يدعي لنفسه ما ليس لها يدعي أنه يحيي ويميت ، وهنا لا يناقشه إبراهيم في أنه لم يحيي ولم يمت ولكنه يأتي بما يخرس الخصم ويبين عجزه فيقول :(فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب)وعندها يظهر عجز المدعي بالباطل ما ليس له، وتأكد بعد المناظرة أن الذي يحيي ويميت هو الذي يأتي بالشمس من المشرق ، وهو صاحب الكون المدبر لأموره المسير لكواكبه ، فلا يستحق أحد أن يعبد من دونه (ابن كثير ٤١٣١١ ، القرطبي ١٣ ٤٨٢ : ٦٨٢).

وهو منهج عملي يسهل تطبيقه والعمل به ، فها هو إبراهيم أراد أن يعلم قومه التوحيد بشكل عملي فوقف يفكر بصوت عال وهو يدعوهم إلى التفكير للوصول إلى الحق ، قال

تعالى: (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين * فلما رأى القمر .....الآيات) (الأنعام : ٦٧ : ٩٧) وهذه الآيات تبين منهجا فريدا في التفكير المنطقي السليم الذي يصل بصاحبه إلى الحق ، فحينما يناقش إبراهيم عقيدة قومه في عبادة الأوثان من دون الله ، وعبادة الكواكب وهي من مخلوقات الله ، فانتقل بين الكواكب يناقش قدرتها وحدودها واحدة تلو الأخرى حتى وصل إلى النتيجة الحتمية للتفكير المنطقي السليم وهي أن كل هذه الكواكب لا تملك لنفسها نفعا أو ضرا ولا تملك شيئا لغيرها كذلك ، إذن فلا يصح عبادتها ، بل ينبغي أن يتوجه الإنسان بالعبادة إلى الله وحده لا شريك له ، وبهذا المنطق يصل إبراهيم إلى الحقيقة التي لا جدال فيها ، ويدعو إليها قومه ، ويعلن استمساكه واستعصامه بها ويتبرأ من كل ألوان الشرك وأهله (القرطبي ٢٥١١٢ ، ابن كثير ٢٥١١٢).

ويروي لنا القرآن موقفا آخر لإبراهيم عليه السلام يوجه به الدرس إلى من يتلقى القرآن الكريم ، وفي هذا الموقف يعرض الإيمان بطريقة حسية ملموسة ، فلا يدع في القلب ريبة ولا في النفس تردد أو حيرة قال تعالى: (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم)(البقرة : ٠٦٢)

منهج استعراض دلائل القدرة:

وهذا المنهج القرآني يقرره القرآن الكريم نفسه ، ويعلن الهدف منه صراحة دون حاجة إلى تفكير أو تفسير ، قال تعالى: (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) (فصلت : ٣٥) فالآية واضحة تقرر كتاب الكون المفتوح بما فيه من آيات تدل على الخالق الأحد الحق ، وليس كتاب الكون فحسب بل إن الإنسان نفسه مليء بالآيات الدالة على خالقه سبحانه وتعالى ، وتؤكد الآيات أن الهدف الرئيس من ذلك هو أن يتأكد الناس أن الله وحده هو الحق وما عداه من آلهة مدعاة باطل لا أساس له من الصحة .

يتبع القرآن الكريم أسلوبا يستطيع مخاطبه في كل زمان أن يصل إلى فهم يوصله إلى الحق ، فالقرآن كتاب هداية للعالمين ، ومع تسليمنا بأنه ليس كتابا في العلوم الطبيعية ، ولسنا مطالبين بالبحث عن رابط بين القرآن والعلم ، فإننا نجد في القرآن العديد من الإشارات إلى الآيات الكونية التي وقف عليها العلماء وتأكدوا من صحتها لا يختلف في ذلك مسلمهم عن غير المسلم ، وهو مع ذلك يصل عن طريق نفس الآيات بعقل البدوي البسيط إلى حقيقة التوحيد ، ومثال على ذلك حديث القرآن الكريم عن خلق السماء وفي تشجيع الإنسان علي التفكر والتدبر في خلق السماوات والأرض .

يقول ربنا تعالي :(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب* الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلي جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)(آل عمران:٠٩١ــ١٩١).

يؤكد القرآن الكريم علي ما في السماوات والأرض من أدلة الخلق والإفناء والبعث، وكذلك يؤكد علي ما في السماوات والأرض من الأدلة، التي تنطق بطلاقة القدرة الإلهية في خلقهما وإبداعهما، كما تنطق بحتمية إفنائهما، وإعادة خلقهما من جديد في صورة غير التي نراهما فيها اليوم، و يؤكد القرآن الكريم علي أن الله تعالي هو خالق السماوات والأرض وخالق كل شيء، وذلك في عدد كثير من الآيات التي منها قوله تعالي:(وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير) (الأنعام:٣٧). وقد أكد القرآن الكريم هذه المعاني في آيات كثيرة منها : (العنكبوت:٤٤) و(الروم:٨ و ٢٢) و(التغابن: ٣) و(الزمر:٥) و (غافر:٧٥) و (الدخان:٨٣ و٩٣) و (الشوري:٩٢).

وقد جاءت مادة خلق بمشتقاتها في القرآن الكريم مائتين وإحدي وستين(١٦٢) مرة، لتأكيد أن عملية الخلق هي عملية خاصة بالله(تعالي) وحده، لا يشاركه فيها أحد، ولا ينازعه عليها أحد، ولا يقدر عليها أحد غيره إلا بإذنه، كذلك وردت لفظة السماء في القرآن الكريم بالإفراد والجمع في ثلاثمائة وعشر(٠١٣) مواضع، منها مائة وعشرون(٠٢١) مرة بصيغة الإفراد(السماء)، ومائة وتسعون(٠٩١) مرة بصيغة الجمع(السماوات) معرفة وغير معرفة، كما وردت لفظة الأرض بمشتقاتها في أربعمائة وواحد وستين(١٦٤) موضعا وذلك في مقامات كثيرة تؤكد أن الله(تعالي) هو خالق السماوات والأرض، وخالق كل شيء ، (مقال أ .د زغلول النجار بجريدة الأهرام المصرية العدد :٥٢١ – ١٢ مايو ٢٠٠١).من مثل قوله تعالي:(ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو علي كل شيء وكيل)(الأنعام : ٢٠١). وقوله تعالي: (إنا كل شيء خلقناه بقدر)(القمر:٩٤) وقد أفاض القرآن الكريم في عرضه لدلائل القدرة لحسم قضيتي الخلق والبعث بنسبتهما إلي الله تعالي وحده، وذلك لأن هاتين القضيتين كانتا من أصعب القضايا التي خاض فيها الجاحدون والمتشككون بغير علم ولا هدي عبر التاريخ، ولا يزالون يستخدمون هذا الجحود والإنكار في معارضة قضية الإيمان بالله الخالق الباريء المصور، ويرد عليهم القرآن الكريم بقول الحق : (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون)(النحل:٧١). ويكرر القرآن التأكيد على هذا المعنى فالعديد من الآيات منها:(الطور:٥٣و٦٣) و (يونس:٤٣) (العنكبوت:٠٢،٩١) وكل هذه الآيات إنما تأخذ بيد الإنسان للوصول إلى الله تعالى خالق كل شيء ومليكه . لتبقي هذه الومضة القرآنية الباهرة مع غيرها من الآيات القرآنية، شهادة صدق بأن القرآن الكريم كلام الله، وأن سيدنا ونبينا محمدا(صلي الله عليه وسلم) كان موصولا بالوحي، معلما من قبل خالق السماوات والأرض، وأن القرآن الكريم هو معجزته الخالدة إلى قيام الساعة.(زغلول النجار المقال السابق)

ومن دلالات القدرة التي وفاها القرآن الكريم في هذا الاتجاه دور الجبال في إرساء الأرض وجعلها صالحة للسكنى والإعمار ، (والجبال أرساها * متاعا لكم ولأنعامكم)(النازعات :٢٣، ٣٣) هاتان الآيتان الكريمتان وردتا في مطلع الثلث الأخير من سورة النازعات، وهي سورة مكية، تعني ــ كغيرها من سور القرآن المكي ــ بقضية العقيدة في المقام الأول ، والعقيدة هي أساس الدين، وهي من القضايا الغيبية غيبة مطلقة ، ولذلك فالإنسان محتاج

فيها دوما إلي بيان من الله ، بيانا ربانيا خالصا لا يداخله أدني قدر من التصورات البشرية وهل خلق الإنسان أشد إنجازا من خلق السماء التي بناها بدقة فائقة وإحكام يعجز البشر – رغم تقدمهم العلمي عن إدراك الكثير من حقائقه ، وكلما اكتشف العلماء اكتشافا ، أو أدركوا حقيقة من حقائق هذا الإبداع علموا أنهم يجهلون الكثير ، وأن علمهم لا يساوي ذرة من علم الخالق المبدع ، وهم في ذلك يستوي مؤمنهم وغير المؤمن ، وهل خلق الإنسان أشد إنجازا من دحو الأرض، وإخراج كل من مائها ومرعاها من داخلها؟ وهل هذا المخلوق الضعيف أشد خلقا من إرساء الجبال علي سطح الأرض، وإرساء الأرض بالجبال كي لا تميد ولا تضطرب بسكانها تحقيقا لسلامة العيش عليها؟وهذه التساؤلات يوردها القرآن الكريم لعل منكري البعث من الطغاة والمتجبرين في الأرض أن يجدوا فيها ما يمكن أن يعينهم علي إدراك شيء من مظاهر القدرة الإلهية المبدعة في الكون والتي تؤكد علي حقيقة الخلق كما تؤكد علي إمكانية البعث بل علي ضرورته وحتميته .

منهج ضرب الأمثال

وبهذا المنهج يسلك القرآن أسلوبا جديدا في غرس العقيدة ، فهو يحاور العقل ويحرك الحس والعاطفة ، ويستخدم المخزون الثقافي المعروف لدى البشر ؛ ليقرب الصورة إلى ذهن المتلقي ، فيثور وجدانه ، ويفكر بعقله ، وينقاد لفطرته فتهديه إلى الله ، كل ذلك يفعله القرآن في أسلوب يأسر القلوب ، ويقود صاحبها إلى الإيمان دون أن يدري ، لولا أن بعض المخاطبين ممن لم يرد الله هدايتهم ، يغلبه كبره أو تعصبه الأعمى لدين الأجداد ، أو يخشى ضياع دنياه سواء بضياع المنصب والجاه والوجاهة أو بضياع مصدر جلب المال لهم حسب اعتقادهم ، فهم سيفقدون ما يقدم للآلهة المزعومة من الهدايا والقرابين ، فيقطعون على أنفسهم الطريق إلى تذوق طعم الإيمان ، ولا يجدون وصفا لما كانوا فيه من حالة روحانية توشك أن تصل بهم إلى النور لا يجدون سوى وصفها بالسحر قال تعالى: (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب)(ص :٤) و قال تعالى: (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين)(يونس : ٢) و قال تعالى: (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين)(سبأ:٣٤) و قال تعالى: (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين)(الأحقاف :٧) و قال تعالى: (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون)(الزخرف : ٣٠)والآيات في هذا الصدد كثيرة ولا مجال لسردها ، ولكن يجدر بنا أن نقرر ما استقرأناه من القرآن الكريم في هذا الخصوص ، فإنه يوضح لنا أن منهج الكفار تجاه الرسل واحد وهو الكفر واتهام الأنبياء بالسحر ، ونستنتج من ذلك أن الخطاب الإلهي في مجمله يتفق في أسلوبه الأخاذ الذي يجذب النفس نحو الإيمان في حالة روحية لا يصل إليها إلا من قدم الخير فشرح الله صدره للإيمان ، قال تعالى: (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون)(الذاريات :٥٢) .وهكذا فإن القرآن الكريم يتبع خطى واضحة ومعالم مرسومة لبناء هذه الشخصية المؤمنة ،لتكون صالحة في نفسها ،مفيدة لغيرها ،مصلحة ما حولها ،وهي

في كل ذلك تعبد ربها .

الخاتمة

لقد أوضحت هذه الدراسة أهمية التخطيط الاستراتيجي لمستقبلنا ، وأوضحت كذلك أن الإسلام وكتابه الخالد القرآن الكريم يوليان هذا الأمر اهتماما عظيما ؛ فقد رأينا القرآن يربي الإنسان تربية مخطط لها من قبل من ؛ فمع أنه تعالى غني عن الأخذ بالأسباب لا مواضع متعددة فإنه تعالى يدبر يحتاج إلى التخطيط وهو ما نص علي القرآن صراحة في لدعوته الأسباب الكفيلة بإنجاحها ، ويكيد أعداؤه لدينه فيكيد كيدا يفسد كيدهم ويجعله عقيما لا جدوى له ولا ثمر . وقد حاولت الدراسة الوقوف على أسباب نزول القرآن الكريم منجما ، والحكمة الكامنة وراءه ، كما تعرضت لمناهج القرآن في بناء الفرد والمجتمع ، وخلصت إلى أن القرآن لم يكن يتخبط في مراحل نزوله بين ناسخ ومنسوخ بل كان ينزل وفق خطة مرسومة من لدن حكيم خبير ، ولأننا نحن أحوج إلى التخطيط والتدبير وتطوير الخطط لتوافق الأحداث والأزمان ؛ فقد أوصت الدراسة بإعادة النظر في الدرس القرآني لنستنير به في دربنا لإعمار الدنيا وإصلاح الآخرة .

المراجع :

. ١- ابن أبي شيبة الكوفي محمد بن أبي شيبة الطبعة الأولى تحقيق كمال يوسف الحوت ، الرياض ١٤٠٩ هـ

٢- ابن حِبَّان محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، المسند الصحيح الطبعة الثانية . تحقيق سيد الأرنأوطي بيروت ١٤١٤هـ

٣- ابن رشد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الاندلسي، أبو الوليد: الفيلسوف بداية المجتهد ونهاية المقتصد الطبعة الأولى ، تحقيق .طه عبدالرؤف سعد القاهرة ١٩٨٩م

٤- ابن كثير القرشي عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي ، تفسير ابن كثير بدون تحقيق بيروت ١٤٠١هـ .

٥- ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الأفريقى، لسان العرب بيروت .بدون تاريخ

. ٦- أبو السعود العمادي ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم بيروت بدون تاريخ

.٧- أبو زهرة التعاون الاجتماعي في الإسلام إسطنبول ١٩٩٣ م

.٨- أبو عَوَانة الأسفراييني محمد أبو عَوَانة ، تحقيق أيمن الدمشقي بيروت ١٩٩٨م

.٩- أسد محمد رسالة القرآن الترجمة التركية ، جاهيد كويتاك و أحمد أرتورك

. ١٠- الألوسي أبو الفضل ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، بيروت بدون تاريخ

. ١١- البخاري أبوعبدالله صحيح البخاري الطبعة الثالثة،تحقيق مصطفى الديب بيروت ١٤٠٧ هـ

١٢- البغوي أبو أحمد معالم التنزيل ،الطبعة الثانية بيروت ١٤٠٧هـ البيضاوي ، تفسير البيضاوي ،تحقيق عبد القادر حسوني .بيروت ١٤١٦هـ

. ١٣- الجوهري إسماعيل بن محمد ، الصحاح مصر بدون تاريخ.الجوزي ،عبد الرحمن ،زاد المسير الطبعة الثالثة بيروت ١٤٠٤ هـ

.١٤- البيهقي ، أبو بكر سنن البيهقي الكبرى ،تحقيق عبد القادر عطا مكة ١٤١٤هـ

. ١٥- التّرْمذِي، أبوعيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، سنن التّرْمذِي تحقيق محمد شاكر بيروت بدون تاريخ
. ١٦- الثعالبي محمد بن مخلوف الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، بيروت بدون تاريخ
.١٧- الحسيني محب الدين محمد مرتضى ، تاج العروس بيروت ١٩٩٤
.١٩- الدارمي أبومحمد سنن الدارمي ، الطبع الأولى ،تحقيق فواز الزمرلي وخالد العليمي بيروت ١٤٠٧هـ
.٢٠- الرازي فخر الدين مفاتيح الغيب الطبعة الأولى بدون تحقيق بيروت ١٩٩٠م
. ٢١- الزحيلي ،أ. د وهبة بن مصطفى ، الفقه الإسلامي دمشق بدون تاريخ
٢٢- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو، الأزدي سنن أبي داود تحقيق محيي الدين عبدالحميد ، مصر
. بدون تاريخ
. ٢٣- السُّيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، تفسير الجلالين ، الطبعة الأولى القاهرة بدون تاريخ
. ٢٤- الصابوني محمد علي ، صفوة التفاسير ، دار سعادت ، إسطنبول بدون تاريخ
٥٢- الصنعاني عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري ، تفسير القرآن تحقيق مصطفى مسلم الطبعة الأولى الرياض ،١٤١٠ هـ .
٦٢- الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، أبو جعفر ، جامع البيان في تأويل القرآن ،بيروت ٥٠٤١ هـ.
٧٢- الفيروزآبادي محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي ا ، القاموس المحيط، مصر
٣١٩١م .
٨٢- القرطبي أبو عبد الله تفسير القرطبي ، تحقيق أحمد البردوني القاهرة ٢٧٣١هـ.
٩٢- النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر معاني القرآن الكريم تحقيق محمد علي الصابوني مكة ٩٠٤١هـ
.
٠٣- النسفي عبد الله بن أحمد بن محمود ، أبو البركات تفسير النسفي بدون تاريخ .
١٣- الواحدي علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (أبو الحسن) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز الطبعة
الأولى ، تحقيق صفوان عدنان الداوودي بيروت — دمشق ١٤١٥ هـ.
٢٣- تشاغ ألتاي نشأت تاريخ العرب قبل الإسلام أنقرة ١٧٩١ م.
٣٣- دوغرول عمر رضا تاريخ أديان الأرض الطبعة الثانية إسطنبول ١٩٥٣ م.
٤٣- قطب سيد ، في ظلال القرآن الطبعة الرابعة والعشرون القاهرة ١٩٩٥ م.
٥٣- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري الجامع الصحيح تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت بدون تاريخ .
٦٣- هارون عمر فاروق ، نظرة النصارى للإسلام الطبعة الأولى إسطنبول ١٩٩٣.
٧٣- سابق سيد فقه السنة الطبعة الثالثة القاهرة ١٤١٢هـ .